# الخطبة السادسة والثلاثون

## كيف أجعل قلبي سليماً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله إذا رضي، والحمد لله بعد الرضا، والحمد لله أن ألهمني أن أحمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

آية كريمة حملت معاني كثيرة ومهمة جداً وهي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: 26/ 88 – 89].

لقد نفت وألغت هذه الآية الكريمة كل منفعة من مال أو بنين، واستثنت وأثبتت بأن المنفعة في القدوم على الله بقلب سليم، فيا هل ترى كيف السبيل إلى جعل قلبي سليمـًا؟ حتى يقبلني الله سبحانه وحتى أحصل على المنفعة الربانية التي تتجلى في قبوله ورضاه ورحمته وجنته والنجاة من غضبه وعذابه وعقابه. قال العلماء في شرح القلب السليم أشياء كثيرة ألخص بعضها واستطرد في بعضها.

1- القلب السليم هو الخالي من الشرك الأكبر ومن النفاق واللذان يُخْرِجان من الملة –والعياذ بالله– ومن صفات الشرك الأكبر، الكفر بما أنزل الله تعالى، وردّ أحكامه وتشريعاته أو الاستهزاء بها والاستهزاء بالرسل، ومناصرة ومحبة الكفر وأهله وما إلى ذلك.

2- القلب السليم هو المحب والقائم للعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 16/ 97].

والعمل الصالح مراتبه:

1- قوله تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه» البخاري، فالصلاة والصيام والصدقة والحج هي من أحب الأعمال الصالحة إلى الله تعالى، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: «أي العمل أحب إلى الله تعالى؟» قال ﷺ: «الصلاة على وقتها» متفق عليه.

2- ومن الأعمال الصالحة ذكر الله سبحانه وتعالى، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: «أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟» قال ﷺ: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» صحيح - ابن حبان.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولاإله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت» رواه مسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى؟ قلت: بلى يا رسول الله، فقال: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده» رواه مسلم.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: تعلقت بقدم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرئني سورة هود وسورة يوسف، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا عقبة إنك لن تقرأ من القرآن سورة أحبَّ إلى الله ولا أبلغَ عنده من: قل أعوذ برب الفلق» صحيح، أحمد والدارمي.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «أتدرون أي

الأعمال أحب إلى الله؟ قال: إن أحب الأعمال إلى الله تعالى، الحب في الله والبغض في الله» صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده.

3- القلب السليم هو القلب الخالي من الغش والحسد والغيبة والنميمة. قال عليه الصلاة والسلام: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم أخلاقًا» صحيح - الطبراني.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال ﷺ: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قالوا: فما مخموم القلب؟ قال ﷺ: «هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد» صحيح - ابن ماجه (3397).

التقي النقي، يخاف الله تعالى ويراقبه، لا تدخل جيبه ولا قلبه ولا عقله شائبة أو ريبة أو شك، لا يحمل ضغينة ولا كراهية لأحد، ولا يظلم أحداً، ولا يأكل مال أحد، ولا يستغيب أحداً، ولا يتعرض إلى أعراض الناس وسمعتهم، ولا يحسد أحداً على ما آتاه الله من النعم، لأنه مؤمن تقي نقي، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فقال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 113/ 5].

4- القلب السليم، قلب مفعم بالحب والرضا والثناء والدعاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 59/ 9].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه» حم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم، كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكل امرئ

زوجتان من الحور العين، يُرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم» رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» البخاري ومسلم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 59/ 10].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم.

لن ندخل الجنة إلا بالإيمان، ولن نؤمن حقيقة حتى نحب بعضنا، وحتى نحب بعضنا يجب أن نفشي السلام بيننا، والسؤال الآن: كيف نفشي السلام؟

أيكون بأن نلقي التحية على بعضنا بقول: السلام عليكم؟ وقلوبنا مليئة بالحقد والكراهية؟ نقول: السلام عليكم، ونضمر الشر لبعضنا؟ نقول: السلام عليكم، ثم نلتفت لنلعن ونسب ونشتم ونتكلم بالكلام البذيء؟ نقول: السلام عليكم، ثم نفضح الأعراض، ونسيء السمعة، وننشر الفواحش؟ نقول: السلام عليكم، ولا نترك شاردة ولا واردة ولا غيبة ولا نميمة، والغل والحسد يفوح من أفواهنا؟ أهذا مقصد رسول الله ﷺ من أن نفشي السلام؟ أم أن مقصده سلامة الصدور، وسلامة المعاملات، وسلامة العلاقة، وسلامة القلب، والمحبة الخالصة للمسلمين؟ تتألم عندما تسمع عن معاناة إخواننا في غزة والقدس، وفي كشمير وبنغلاديش وسورية وكل البقاع التي يُظلم فيها إخواننا وأخواتنا وأولادنا المسلمين.

هل تدعو لهم؟ هل تناصرهم؟ هل تتبرع لهم؟ هل تتضرع إلى الله تعالى لينجيهم

من الظلم والاستبداد؟ فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» البخاري ومسلم.

5- القلب السليم هو القلب الراضي بما قسمه الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم» رواه مسلم.

تنظر إلى من هو دونك في الدنيا فتحمد الله على ما آتاك من النعم، وتنظر إلى من هو فوقك في الدين والتقوى حتى تتنافس معه وترتفع في العمل الصالح والتقوى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» الترمذي، صحيح الجامع.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله إذا أحب قومـًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» صحيح - الترمذي.

والرضا هو الاستسلام والقبول لقدر الله تعالى، ومعرفة أن الله يمتحن الناس وهو أعلم بهم، فمن رضي نال جزاء الله تعالى ونجح في الامتحان، والرضا هو اطمئنان النفس، وبذلك إما أن تكون صابرة داعية ملتجئة إلى الله تعالى، وإما أن تكون شاكرة ذاكرة، تعرف النعمة وقدرها، وتعرف المنعم وتشكره، وترى حق الله وحق الناس في هذه النعمة، وتخرج النعمة وتستعملها في رضا الله تعالى، ولا تستخدمها فيما حرم الله تعالى، وهذا هو الشكر المطلوب.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: 64/ 11]، أن يؤمن بأن ما أصابه هو مقدر من عند الله تعالى، وأنه في امتحان، سواءٌ كان ما أصابه خيراً أو شراً، فالنعمة امتحان، والمصيبة امتحان، فإذا علمت هذا اطمأن قلبك وتصرفت كما يجب على

العبد أن يتصرف يشكر النعمة، ويصبر على المصيبة، وفي كلا الحالتين هو شاكر صابر محتسب مؤمن مُسلِّمٌ بقضاء الله تعالى وراضٍ به، فإذا أعطاك الله هذا الفهم وهذا الإيمان فأنت إن شاء الله ممن يحبه الله تعالى، لأن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى قَسَمَ بينكم أخلاقكم، كما قَسَمَ بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب» صحيح - الأدب المفرد.

6- القلب السليم قلب متعلق بربه يبحث عما يحبه الله تعالى فيفعله، ويبحث عما يبغضه الله تعالى فيتجنبه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: عندما سئل: أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ فقال ﷺ: «أدومها وإن قل، وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون» البخاري (6465). (اكلفوا) أي: اعتادوا وأعملوا وقوموا بما تطيقونه من الأعمال ولا تتكلف المشقة والمعاناة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل: 1- سرور يدخله على مسلم، 2- يكشف عنه كربة، 3- أو يقضي عنه ديناً، 4- أو تطرد عنه جوعاً، 5- ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، 6- ومن كف غضبه ستر الله عورته، 7- ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ قلبه رجاء يوم القيامة، 8- ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام» السلسلة الصحيحة (906).

وقال عليه الصلاة والسلام: «أحب الأعمال إلى الله: 1- إيمان بالله، 2- ثم صلة الرحم، 3- ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله، الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم» صحيح الجامع (166).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «1- إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: 2- الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: 3- حج مبرور» البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: 1-الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: 2- بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: 3- الجهاد في سبيل الله» البخاري ومسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أحب الحديث إليّ أصدقه» البخاري.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة قاطع» أي: قاطع رحم، مسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يَدَّخِرُ له في الآخرة مثل: البغي وقطيعة الرحم» صحيح - الأدب المفرد، صحيح - أبي داود.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة: خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء» الترمذي - صحيح الترغيب والترهيب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله: ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِم» البخاري.

كنت في صحبة طيبة مسافرين في السودان، فوقفنا في قرية لنصلي الجمعة، ودخلنا مسجد القرية وكان مزدحماً، وصلينا الجمعة والحمد لله، ورأيت الناس يُقبِلون على رجل كبير يسلمون عليه ويُقبِّلون يده، وسبحان الله، فالرجل عليه علامات الصلاح والتقوى والله أعلم به، فقلت في نفسي: آتيه وأسلم عليه، وفعلاً وقفت حتى سنحت لي الفرصة، وإخواني يستعجلونني لنكمل سفرنا -فما اكترثت لهم- وأردت ذلك الرجل، وسبحان الله رآني فابتسم لي، وكأنه عرفني بأني غريب من مظهري المختلف،

فجئت وسلمت عليه وعرفته بنفسي وأني غريب مسافر، ولكني أحببت لقاءه، ثم قلت له: أفدني جزاك الله خيراً.

فقال: يا بني جاوزت من العمر تسعين عاماً، وعندي من الأولاد والأحفاد ما يزيد عن التسعين، وسافرت طول البلاد وعرضها، وعركت الحياة، وقرأت وسمعت الكثير وهذا من فضل الله تعالى، وأرى إخوانك يستحثوك وما أريد أن أطيل عليك، يا بني الحياة كلها في كلمتين فافهمهما، ودارت بقلبي وعقلي ونفسي ووجداني كلمات كثيرة، وكلي شوق وانتباه لما سيقوله؛ فقال: الحياة كلها في (الكف والسعي)، فكر فيهما وفقك الله تعالى.

وفكرت، نعم جزاه الله خيراً. الحياة في الكف عن الشرك، والحرام، وعن أذى الناس، وعن سوء الظن، وعن المعاملات الخاطئة، والكف عن الشر والباطل أيًا كان.

ثم السعي لمرضاة الله تعالى، وللعمل الصالح، ولبر الوالدين، ولخدمة الناس، والسعي لصفاء القلب والصدر والسريرة، والسعي في وجوه الخير، وكل ذلك في النية الخالصة لمرضاة الله سبحانه وتعالى وكسب جنته والخوف والرجاء والحذر من الوقوع في غضبه سبحانه وتعالى ونيل عذابه وعقابه، نعم الحياة كلها في كلمتين: (الكف والسعي)، فأين أنا من هذا؟ هل كففت يدي عن أذى الناس وعن أموالهم؟ هل كففت لساني عن الخوض في الزور والكذب والغيبة والنميمة؟ هل كففت بصري عن المحارم وأعراض الناس؟ ثم هل سعيت في مرضاة الله سبحانه وتعالى؟

اللهم اغفر لي وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك يا ربي سميع قريب مجيب الدعوات.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

**والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم**